الشخصية المهمة في القانون الدولي
"السفير نموذجا"

الباحث عبد الله سالم مبارك بن نوره المري
دولة قطر
طالب باحث بسلك الدكتوراه
تخصص القانون العام والعلوم السياسية
تحت اشراف الدكتور عبد النبي صبري
أستاذ التعليم العالي
جامعة محمد الخامس، الرباط
المغرب

مقدمة:

ترجع الأنشطة الدبلوماسية إلى خطاب نُقش على لوح حجري يعود إلى قرابة ٢٥٠٠ عام قبل الميلاد، عُثر عليه في المنطقة المعروفة الآن بشمال إيران، وقد جرت عادة الحكام على إرسال المبعوثين بعضهم إلى بعض لعدة أسباب؛ كالحيلولة دون وقوع حرب، ووقف العداء وإبرام المعاهدات، أو لمجرد استئناف العلاقات السلمية وتعزيز التجارة بينهم.

أما عهد الدبلوماسية الحديث فيرتبط بصُلح وستفاليا الذي عُقد عام 1648، والذي وضع حدًّا لنزاعات حرب الثلاثين عامًا، وكرس مبدأ استقلال الدول، وحرية التسامح والاعتقاد. أما مؤسستيا فأول وزارة خارجية تم تأسيسها فترجع للكاردينال الفرنسي ريشيليو عام 1626، الذي طرح كذلك المنهج الكلاسيكي في العلاقات الدولية، القائم على مبدأ الدولة المستقلة الذي تحركه المصالح القومية كهدف نهائي[1].

وقد استخدمت بريطانيا العظمى في القرن الثامن عشر سياساتها الدبلوماسية لخدمة توازن القوى الدولية، بينما استخدمت النمسا في عهد مترنيش سياساتها الدبلوماسية لإعادة بناء مجلس أوروبا، الذي قامت فيما بعدُ ألمانيا في عهد بسمارك بحله لتغير بذلك وجه الدبلوماسية الأوروبية وتجعلها — على حد تعبير هنري كسنجر: «لعبة وحشية تدور حول سياسة القوة.»

ويقصد باصطلاح السلك الدبلوماسي في القانون الدولي العام، مجموع الدبلوماسيين أو رؤساء البعثات الدبلوماسية الموفدين من كافة الدول أو المنظمات الدولية لتمثيل هذه الدول والمنظمات في دولة معينة أو لدى منظمة دولية بعينها.

أما في القانون الداخلي لكل من الدول فهو فيقصد بها مجموع الدبلوماسيين العاملين في وزارة خارجيتها والخاضعين لرئاسة وزير الخارجية أيا كان مقر عملهم، وسواء أكان هذا المقر هو الديوان العام لوزارة الخارجية الكائن بعاصمة الدولة المعنية أو البعثة الدائمة للدولة لدى احدى الدول أو المنظمات الدولية[2].

ويعتبر السفير موظف دبلوماسي يترأس سفارة لتمثيل بلاده في الخارج، وللسفير مراتب عدة أكثرها شيوعاً وأعلاها مرتبةً هي «سفير فوق العادة ومطلق الصلاحية». بعض البلاد تعيّن بعض الموظفين الدبلوماسيين بمرتبة «سفير مفوض» ويكلّفون بمهام خارجية محددة دون إقامة طويلة في الخارج ويعملون كمستشارين لحكوماتهم[3].

كانت بعض الحكومات تعين موظفين دبلوماسيين بمرتبة «وزير مفوض» (وهي إحدى المراتب الدبلوماسية المنصوص عليها وفق اتفاقية ڤيينا المنظمة للعلاقات الدبلوماسية والموقعة في 1961م وهذه المرتبة هي المرتبة الأقل مباشرة من مرتبة السفير) وتعطيه

صلاحيات السفير فوق العادة لتمثيل بلاده لدى حكومة الدولة المضيفة. وترسل دولة الفاتيكان موظفاً يدعى «المبعوث الرسولي» بمرتبة سفير فوق العادة مطلق الصلاحية للخارج لتمثيل البابا. بينما دول الكومنولث تتبادل فيما بينها «مندوب سامي» بمرتبة توازي مرتبة السفير.

ولقد أصبح استخدام السفراء سياسة إستراتيجية في إيطاليا في القرن السابع عشر. ولكن التغيرات التي حصلت غيرت دور السفير في النواحي الدبلوماسية حيث أن العديد من الولايات في إيطاليا كان صغيرة الحجم وضعيفة، واستعمل نظام السفير لتفريق المعلومات وحماية الولايات الضعيفة[4].

ثم انتشرت هذه الممارسة وانتقلت إلى أوروبا أثناء الحروب الإيطالية. وكان استخدام وإنشاء السفراء خلال القرن الخامس عشر في إيطاليا لهُ تأثير طويل الأمد على أوروبا، وبالمقابل على السياسة والدبلوماسية العالمية. حيث بقيت أوروبا تستخدم نفس شوط حقوق السفراء التي وضعت في القرن السادس عشر، فيما يتعلق بحقوق السفراء وكذلك الإجراءات الدبلوماسية المناسبة. وقد استخدم السفير ممثلاً لدولتهِ من أجل التفاوض ونشر المعلومات والحفاظ على السلام وإقامة علاقات مع الدول الأخرى. وكانت هذه محاولة من أجل الحفاظ على العلاقات السلمية والتحالفات في الأوقات الصعبة.

ويستخدم السفراء اليوم على نطاق واسع. حيث أن الدول والجهات غير الحكومية لديها ممثلون دبلوماسيون للتعامل مع العديد من المشاكل التي تحدث في إطار النظام الدولي. والسفراء الآن يعيشون خارج أو داخل البلد الذي عينوا فيه لفترات طويلة بحيث يتم الاطلاع على الثقافة المحلية للبلد، هذه الطريقة هي أكثر فعالية من الناحية السياسية وموثوق بها، وتمكن من تحقيق الأهداف السياسية المطلوبة.

وسوف نحاول هنا تناول السفير من خلال محدداته واستعراض امتيازاته، وذلك من خلال المحورين الآتيين:

المحور الأول: محددات السفير

تكمن محددات السفير باعتباره موظف حكومي وأعلى هيئة في السلك الدبلوماسي في مفهومه وفي الالتزامات القانونية الملقاة على عاتقه.

أولا: مفهوم السفير

ما هو تعريفه؟ ما هي شروطه وصفاته؟ ما الذي يميزه عن القنصل؟ ما هي مراتبه؟

1-تعريف السفير

السفير هو الوكيل الدبلوماسي المعتمد في دولة أجنبية لتمثيل الدولة التي ينتمي إليها، أو رئيسها، مثل كونه رئيسًا، في حالة دولة ذات نظام رئاسي، أو إذا فشلت في ذلك، حكومة البلد الذي تأتي منه.

بشكل عام، يتم تعيين هذا المسؤول من قبل السلطة التنفيذية في بلاده، وبمجرد أن يصبح ساري المفعول عند التصرف في منصبه، يجب أن يستقر في المكان المعني

السفير، هو موظف رسمي مهم للغاية يمثل بلده في أحد البلدان الأجنبية ويكون موافقاً عليه أيضاً من ذلك البلد الذي يمثل بلده فيه.

فأصل السفير في لسان العرب المصلح، فكل من قام بدور الإصلاح بين الناس فهو سفير، قال ابن عباد في المحيط: والسفير: الرسول بين القوم المصلح بينهم، وهم السفراء، وسفرت بين القوم: إذا كان رسولا بينهم، وكذلك إذا أصلح بينهم، فأنا أسفر سفارة[5].

2- شروط وصفات السفير

تختلف قليلاً بين الدول والنظم الدبلوماسية المختلفة. ومع ذلك، هناك بعض الشروط العامة والصفات المرجحة لدى السفراء المهمين. إليك بعضها:

- الخبرة الدبلوماسية: يفضل أن يكون لدى السفير خبرة واسعة في العمل الدبلوماسي. قد يتم تعيين السفراء من بين الموظفين الدبلوماسيين ذوي الخبرة في الوزارة أو في الخدمة الدبلوماسية.
- المعرفة والثقافة العامة: يجب أن يكون للسفير معرفة واسعة بالشؤون الدولية والسياسة الدولية. يجب أن يكون قادرًا على فهم وتحليل التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة المضيفة وفي العالم بشكل عام[6].
- المهارات الاتصالية: يجب أن يكون للسفير مهارات اتصال قوية. يجب أن يكون قادرًا على التواصل بفعالية مع مختلف الشخصيات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والثقافية. يجب أن يتمتع بمهارات التفاوض والإقناع وحل المشكلات.
- القيادة والتمثيل الجيد: يجب على السفير أن يكون قائدًا فعالًا وممثلًا مهنيًا لبلده. يجب أن يكون لديه القدرة على تمثيل حكومته ومصالحها بشكل مهني ورفيع المستوى[7].
- القدرة على التكيف والمرونة: يعمل السفير في بيئة دولة أجنبية ويواجه تحديات مختلفة. يجب أن يكون قادرًا على التكيف مع ثقافة وعادات دولة المضيفة والتعامل مع التحديات المختلفة التي قد تنشأ.
- النزاهة والاحترام: يجب أن يكون السفير نزيهًا وملتزمًا بمبادئ الديبلوماسية الدولية. يجب أن يحترم الثقافة والتقاليد والقوانين في الدولة المضيفة وأن يتعامل مع الآخرين بشكل محترم ومهني.

ويتم الاستدعاء من خلال إعلان رسمي من دولة السفير بسحبه من الدولة المعتمد لديها اعتراضاً على سياسات غير مقبولة أو للتشاور أو بغرض قطع العلاقات الدبلوماسية مع ذلك البلد. كما يمكن أن تقوم الدولة المستضيفة للسفارة باستدعاء سفير بلد ما للتعبير له عن الاعتراض على سياسة دولته تجاه قضية ما أو للتشاور معه في قضية مشتركة أو لتبليغه أنه شخصاً غير مرغوب فيه[8].

الأصل أن يكون المبعوث الدبلوماسي من رعايا الدولة التي يمثلها لأنه الأحرص على رعاية مصالحها مما لو كان أجنبيا ولكن ليس هناك ما يمنع قانونا من أن تعهد الدولة بتمثيلها إلى أحد رعايا دولة أخرى، وهذا ما أوضحته اتفاقية فيينا سنة 1961 ذلك في مادتها الثامنة.

هذه بعض الشروط والصفات المرجحة لدى السفراء المهمين. ومع ذلك، يجب ملاحظة أن هناك تنوعًا في الخلفيات والمواصفات التي يُفضلها كل بلد لتعيين سفيريها[9].

3- الفرق بين السفير والقنصل

السفير والقنصل هما مسؤولان دبلوماسيان يتوليان مهام مختلفة في العلاقات الدولية. إليك الفروق الرئيسية بين السفير والقنصل:

☒ الدور والمهام:

- السفير: يمثل بلده في دولة أجنبية ويعمل على تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين. يقوم بتمثيل حكومته وتوفير الحماية للمواطنين والمصالح الاقتصادية والسياسية في الدولة المضيفة. يتولى المفاوضات والتواصل مع المسؤولين الحكوميين والدبلوماسيين في الدولة المضيفة ويعمل على تعزيز التفاهم والتعاون بين البلدين.
- القنصل: يمثل بلده في مدينة أجنبية ويعمل على توفير الدعم القنصلي للمواطنين البلد المعين في تلك المدينة. يقدم خدمات قنصلية للمواطنين مثل إصدار جوازات السفر، وتأشيرات الدخول، والمساعدة في حالات الطوارئ والتواصل مع السلطات المحلية. كما يعمل على تعزيز الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلد المعين والمدينة المضيفة.

☒ المستوى والتمثيل:

- السفير: يشغل منصبًا عالي المستوى في السلك الدبلوماسي ويعتبر الوجه الرسمي لحكومته في الدولة المضيفة. يتمتع بصلاحيات وامتيازات دبلوماسية ويتعامل مع المسؤولين الحكوميين بمستوى عالٍ.
- القنصل: يشغل منصبًا أدنى في السلك الدبلوماسي بالمقارنة مع السفير. يعمل في مكتب قنصلي ويتعامل بشكل أكثر مباشرة مع المواطنين والشؤون اليومية المتعلقة بالقنصلية.

☒ الاختصاص والمكان:

- السفير: يُعيّن السفير لتمثيل بلده في دولة أجنبية ويتم توجيهه إلى العاصمة أو المدينة الكبرى في الدولة المضيفة.
- القنصل: يُعيّن القنصل لتمثيل بلده في مدينة أجنبية ويتم توجيهه إلى المدينة المحددة بناءً على الاحتياجات والطلبات القنصلية[10].

هذه هي بعض الفروق الرئيسية بين السفير والقنصل. يجب ملاحظة أن هناك تداخلًا في بعض المهام بين السفير والقنصل، وفي بعض الحالات يمكن أن يتم تعيين السفير للقيام ببعض المهام القنصلية في إطار وظيفته. وبالمثل، يمكن للقنصل أن يتعامل مع بعض المسائل الدبلوماسية ذات الصلة في إطار عمله.

4- مراتب السفير

لكل دولة الحرية في اختيار وتعيين مبعوثيها الدبلوماسيين الذين يتمتعون بالقدرة والكفاءة على تمثيلها لدى الدول الأخرى، لكن الدولة لا تستطيع تعيين رئيس البعثة الدبلوماسية إلا بشرط محدد وهو ضرورة الحصول مسبقا على موافقة الدولة المراد اعتماده لديها، ومن المسلم به أن للدولة المستقبلة في أن تطلب خفض عدد أعضاء أي من البعثات الدبلوماسية المعتمدة لديها إذا ما رأت أن هذا العدد قد تجاوز الحد المعقول.

وعموما يمكن النظر الى مراتب السفير انطلاقا من البعثة الدبلوماسية بوجه أو على مستوى السفارة بوجه خاص[11].

أ-مراتب السفير على مستوى البعثة الدبلوماسية

وقد حددت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية 1961 الاشخاص المكونين للبعثة الدبلوماسية كالتالي:

☒ رئيس البعثة الدبلوماسية والغالب الآن أن يرأسها سفير، إلا أنه وبنص المادة 14 من اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية 1961 فإن رؤساء البعثات الدبلوماسية ينقسمون إلى ثلاث فئات:

- ✓ السفراء ومبعوثي البابا ويطاق على البعثة التي يرأسها سفير اسم سفارة ambassad ويسمى السفير Ambassadeur ومبعوث البابا .Nonce
- ✓ مرتبة الوزراء المفوضين Ministres plenipotentiaires والمندوبين فوق العادة Envoyes extraordinaires وتسمى البعثة التي يرأسها أحد هؤلاء باسم مفوضية legation، يستطيعون مقابلة الرئيس مباشرة[12].
- ✓ القائمون بالأعمال Charges d affaires وتختلف رتبة القائمين بالأعمال عن المرتبتين السابقتين من ناحية أن القائم بالأعمال يعتبر مبعوثا من قبل وزير خارجية الدولة الموفدة اليها، بينما السفير والوزير المفوض يمثل رئيس دولته ويعتمد مباشرة لدى رئيس الدولة الأخرى،لا يمكنهم مقابلة الرئيس دون المرور بوزير الخاجية.

لا يجري تمييز بين رؤساء البعثات الدبلوماسية بسبب طبقاتهم الا بالنسبة للبروتوكول والمراسم والأسبقية في المناسبات والاستقبالات.

☒ أعضاء البعثة وهم الموظفون الذين تعينهم الدولة الموفدة للعمل مع رئيس البعثة وهم ثلاثة طوائف:

- ✓ الموظفون الدبلوماسيون كالمستشارين والسكرتيريين والملحقين الفنيين.
- ✓ الموظفون الاداريون والفنيون كأعضاء المحفوظات ومديري الحسابات.
- ✓ المستخدمون الذين يقومون بأعمال الخدمة والصيانة والحراسة في دار البعثة كالسعاة وعمال التلفون والحراس.

☒ الخدم الخصوصيون الذين يعملون في الخدمة المنزلية لرئيس البعثة ولأعضائها.

ومن الجدير بالذكر أن التفرقة بين هذه الطوائف المختلفة لها أهميتها من ناحية شروط التعيين والقبول من الناحية الحصانات والامتيازات التي يتمتع بها أفراد كل طائفة، كما أن وصف أعضاء السلك الدبلوماسي يقتصر فقط على رئيس البعثة والموظفين الدبلوماسيين دون غيرهم. وما يخص مراتب الدبلوماسيين فكل دولة تحدد مرتبة رئيس كل بعثة من بعثاتها الدبلوماسية تبعا لأهمية العلاقات التي تربطها بالدولة الموفدة إليها[13].

ب–مراتب السفير على المستوى الداخلي

السفراء هم دبلوماسيون من أعلى رتبة، يمثلون رسمياً رئيس الدولة، مع صلاحيات المندوبين المفوضين (أي السلطة الكاملة لتمثيل الحكومة). في الاستعمال الحديث معظم السفراء الأجانب ينشرون كرؤساء للبعثة التي تحمل العنوان الكامل للسفير فوق العادة والمفوض. أياً كان، السفراء غير المفوضين حالة نادراً ما تحصل على الرغم من حدوثها في ظروف معينة. الفرق الوحيد بين السفير فوق العادة والسفير العادي أن الأخير يؤدي غرضاً محدد بينما السفير فوق العادة يكون دائماً[14].

✓ السفير غير المقيم

السفير غير المقيم هو سفير من أعلى رتبة أختير لتمثيل بلاده، وعلى عكس السفير المقيم (الذي عادة ما تقتصر مهمته على بلد واحد أو سفارة) فإن السفير غير المقيم يعمل عادةً في البلدان المجاورة، والمناطق أحياناً المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والإتحاد الأوروبي، وحتى في حالة السفير غير المقيم قد يقتصر دوره على تقديم المعلومات والمشورة في قضايا معينة. تاريخياً، عين

رؤساء ورؤساء وزراء مبعوثين دبلوماسيين خاصين لمهام محددة، في المقام الأول خارج الدولة ولكن في بعض الأحيان يكونون داخل البلد[15].

✓ **السفير فوق العادة والمفوض**

اعتبر السفير فوق العادة والمفوض بين القوى الأوروبية الممثل الشخصي للسلطان، واستمر إرسال السفراء إلى رئيس الدولة بدلاً من رئيس الحكومة. دول الكومنولث كان لها رئيس واحد لذلك لم يكن بينها سفراء ولكن بدلاً من ذلك كان هناك المفوض سامي، والذي يمثل الحكومة بدلاً من رئيس الدولة. وفي الدبلوماسية رتبة المفوض السامي تعادل رتبة السفير.

✓ **السفير غير الدبلوماسي**

بأقل دبلوماسية يتم استخدام كلمة السفير لممثل غير دبلوماسي رفيع المستوى من مختلف الكيانات (الدول نادراً) والمنظمات الخيرية والثقافية غالباً. وهذا يكون لجذب وسائل الإعلام، كسفير النوايا الحسنة وغيره.

✓ **سفير فوق العادة ومفوض:**

يُعتبر هذا المرتبة الأعلى في السلك الدبلوماسي ويُطلق عليها أيضًا "سفير فوق العادة ومفوض كامل السلطة". يتم تعيين هذا المرتبة للسفراء الذين يمثلون بلدهم في دول أخرى بمستوى عالٍ من الأهمية الاستراتيجية والسياسية. يتمتع السفير فوق العادة ومفوض بصلاحيات واسعة وممتدة في تمثيل بلده وتوجيه السياسة الخارجية والتفاوض على اتفاقيات ومعاهدات[16].

✓ **سفير فوق العادة:**

يعتبر هذا المرتبة الثانية بعد سفير فوق العادة ومفوض. يتم تعيينه للسفراء في الدول التي تحظى بأهمية دبلوماسية كبيرة، ولكن بصلاحيات أقل من سفير فوق العادة ومفوض. يتعامل السفير فوق العادة بشكل رئيسي مع المسائل السياسية والدبلوماسية ذات الأهمية العالية ويمثل حكومته بشكل عام[17].

✓ **سفير فوق العادة ومفوض مساعد:**

هذه المرتبة تأتي بعد سفير فوق العادة ويعمل كمساعد له في تنفيذ المهام الدبلوماسية. يتم تعيين السفير فوق العادة ومفوض المساعد للسفراء في الدول ذات الأهمية العالية أيضًا، ويقدم الدعم والمشورة والمساعدة في تنظيم وتنفيذ الأعمال الدبلوماسية.

✓ **سفير عادي:**

هذا هو المرتبة الأدنى في السلك الدبلوماسي. يتم تعيين السفير العادي للعمل في الدول ذات الأهمية الأقل والحجم الأصغر في العلاقات الدبلوماسية. يعمل السفير العادي على تعزيز العلاقات الثنائية وتنفيذ سياسات حكومته وتوفير الدعم للمواطنين والمصالح في الدولة المضيفة.

ومن الممكن أن تشمل مراتب السفير التالية:

- ✓ السفير العادي أو سفير فوق العادة.
- ✓ السفير الممتاز.
- ✓ السفير الفوق العادة.
- ✓ السفير الفوق العادة والمفوض.

✓ السفير الفوق العادة والمفوض الممتاز.

تذكر أن هذه المراتب قد تختلف في التسميات والتفاصيل بين الدول المختلفة، وقد تكون هناك أيضًا مراتب إضافية أو تقسيمات فرعية تعتمد على النظام الدبلوماسي لكل بلد، ويوجد تحديث أو تغيير في التسميات والمراتب الدبلوماسية في بعض البلدان بعد تاريخ قطع المعلومات الخاص بي. ومع ذلك، بشكل عام، فإن مراتب السفير تختلف بين البلدان وتعتمد على النظام الدبلوماسي المعمول به في كل بلد. يتم تحديد مراتب السفير عادة بناءً على الأهمية الاستراتيجية للدول التي يتم تعيين السفراء لتمثيلها[18].

يقيم السفير في عاصمة الدولة الأجنبية التي يوفد إليها وتسمح لهُ هذه الحكومة بالسيادة على قطعة أرض محددة عليها بناء السفارة.

يتمتع السفير وجميع الموظفين الذين تحت سلطته في سفارته والمركبات والبريد ومبنى السفارة بحد ذاته بحصانة دبلوماسية يمنحها لهم البلد المضيف. من المتعارف عليه أن يكون السفراء على درجة عالية من الثقافة والكياسة والسياسة وإتقان التكلم بلغات أجنبية.

ثانيا: الالتزامات القانونية (الواجبات والوظائف).

نصت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في مادتها الثالثة على أهم وظائف البعثة الدبلوماسية:

✓ تمثيل الدولة المعتمدة لدى الدولة المعتمد لديها، حيث يتولى السفير مسؤولية تمثيل حكومته ومصالحها في الدولة المضيفة.

✓ حماية مصالح الدولة المعتمدة وكذلك مصالح رعاياها لدى الدولة المعتمد لديها في الحدود المقررة في القانون الدولي. يعمل السفير على حماية المواطنين والمصالح الاقتصادية والسياسية لبلده في الدولة المضيفة. يقدم الدعم القنصلي والحماية للمواطنين ويسعى لضمان تطبيق حقوقهم وسلامتهم.

✓ التفاوض مع حكومة الدولة المعتمد لديها. يقوم بالتفاوض والتواصل مع الحكومة المضيفة والمؤسسات الحكومية الأخرى لتعزيز العلاقات الثنائية وحماية مصالح بلده.

✓ التعرف بكل الوسائل المشروعة على ظروف وتطور الأحداث في الدولة المعتمد لديها وعمل التقارير عن ذلك لحكومة الدول المعتمدة.

✓ تهيئة علاقات الصداقة وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية بين الدولة المعتمدة والدولة المعتمد لديها. يعمل السفير على تعزيز العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة المعينة والدولة المضيفة. يجتمع مع المسؤولين الحكوميين والدبلوماسيين والممثلين الأمنيين ويسعى إلى تعزيز التفاهم والتعاون المشترك.

✓ تبادل المعلومات: يقوم السفير بتبادل المعلومات والتقارير بين بلده والدولة المضيفة. يقدم تقارير وتحليلات حول الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة المضيفة لحكومته.

✓ تنسيق الزيارات الرسمية: يساهم السفير في تنسيق الزيارات الرسمية بين الدولة المعينة والدولة المضيفة. يقوم بترتيب الاجتماعات والمحادثات المهمة ويعزز التواصل والتفاهم بين الجانبين.

✓ ولقد تحدثت الفقر 2 من ذات المادة أنه لا يجوز تفسير أي نص من نصوص هذه الاتفاقية بأنه يحرم البعثة الدبلوماسية من مباشرة الأعمال القنصلية.

ويستفاد من هذا النص أن وظائف البعثة الدبلوماسية لم ترد على سبيل الحصر، فالسفير هو مسؤول دبلوماسي يُعيّن لتمثيل بلده في دولة أجنبية. يشغل السفير منصبًا عالي المستوى في السلك الدبلوماسي ويعتبر الوجه الرسمي لحكومته في الدولة

المضيفة. يتعين السفير من قبل حكومته ويتمتع بالصلاحيات والامتيازات الدبلوماسية للتفاوض والتواصل مع الحكومة والمؤسسات والشخصيات الرسمية في الدولة المضيفة.

وعمومًا يعتبر السفير ممثلًا رسميًا لحكومته ويعمل على تعزيز العلاقات الدولية والتفاهم المشترك بين الدول.

المحور الثاني: امتيازات السفير

يتمتع السفير بحماية من نوع خاص بحكم الصفة التمثيلية التي يتمتعون بها يمكن تقسيما إلى:

أولا: الحصانات والامتيازات الدبلوماسية لمقر البعثة الدبلوماسية

يتمتع مقر البعثة بحصانة تامة ويشمل مقر البعثة من حيث امتداد الحصانة كافة الأماكن والمباني والملحقات التي تشغلها البعثة سواء كانت مملوكة للدولة الموفدة إليها أو مملوكة لأحد الأشخاص الذين يعملون لحسابها أو مؤجرة من الغير وكذلك الحال بالنسبة للفناء المحيط بالمقر والحديقة والمكان المخصص للسيارات وتمتد الحصانة إلى المنقولات وكافة الموجودات بمقر البعثة وكذلك وسائل المواصلات التابعة لها.

1- حرمة مقر البعثة

وبالنسبة لحرمة مقر البعثة تنص المادة 22 من اتفاقية فيينا على أن «تكون حرمة مبنى البعثة مصونة ولا يجوز للدولة المعتمد لديها دخولها الا برضا رئيس البعثة ويترتب على الدولة المعتمد لديها التزام خاص باتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية مبنى البعثة من أي اقتحام أو ضرر ومنع أي إخلال بأمن البعثة أو مساس بكرامتها كما تعفى مبنى البعثة وأثاثها وأموالها الأخرى الموجودة فيها ووسائل النقل التابعة لها من إجراءات التفتيش أو الاستلاء أو الحجز أو التنفيذ».

2-رفع علم دولته وشعارها

ويحق لرئيس البعثة الدبلوماسية دون سواه أن يرفع علم دولته وشعارها على مقر البعثة بما فيها منزله وعلى وسائل نقله.

3- حرمة محفوظات البعثة

أما حرمة محفوظات البعثة ووثائقها فتنص المادة 24 من اتفاقية فيينا على: «تكون حرمة محفوظات البعثة ووثائقها المصونة دائما أيا كان مكانها» هذه الحصانة مطلقة سواء في زمن الحرب أو في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية وتشمل كافة الوثائق والمحفوظات الموجودة داخل المقر أو خارجه.

4- حرمة وسائل الاتصالات

وتجدر الإشارة أن حرمة وسائل الاتصالات قد نصت عليها المادة 27 فقرة 1 حيث نصت على أن: «تجيز الدولة المعتمد لديها للبعثة حرية الاتصال لجميع الأغراض الرسمية وتصون هذه الحرية ويجوز للبعثة عند اتصالها بحكومة الدولة المعتمدة وبعثاتها وقنصلياتها الأخرى أين ما وجدت أن تستخدم جميع الوسائل المناسبة بما في ذلك الرسل الدبلوماسيين والرسائل المرسلة بالرموز أو الشفرة ولا يجوز مع ذلك للبعثة تركيب أو استخدام جهاز لاسلكي إلا برضا الدولة المعتمد لديها»[19].

5-بخصوص الحقيبة الدبلوماسية

وفي ذات السياق لا يجوز فتح الحقيبة الدبلوماسية أو حجزها إذا كانت تحمل علامة خارجية ظاهرة تبين طبيعتها وبشرط عدم احتوائها إلا على الوثائق الدبلوماسية والمواد المعدة للاستعمال الرسمي، على أن المعمول به فعلاً أن من حق السلطات المختصة في الدولة المضيفة أن تطلب الاطلاع على محتويات الحقيبة بحضور مندوب عن البعثة إذا قام لديها دليل أكيد على وجود مخالفة فيها وإلا كان للدولة المضيفة إعادة الحقيبة إلى الدولة المرسلة من دون فتحها.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الحصانات الدبلوماسية تستمر حتى في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين أو الاستدعاء الدائم أو المؤقت للبعثة الدبلوماسية او في حالة وجود نزاع مسلح[20] .

ثانيا: الحصانات والامتيازات الدبلوماسية المقررة لأعضاء البعثة الدبلوماسية

ونوجز هذه الحصانات بما يأتي:

1. **الحصانة الشخصية:**

فلا يجوز إخضاعه لأي صورة من صور القبض أو الاعتقال، ويجب على الدولة المضيفة معاملته بالاحترام اللائق واتخاذ سائر التدابير المناسبة لمنع أي اعتداء على شخصه أو حريته أو كرامته. كذلك يتمتع المنزل الخاص الذي يقطنه المبعوث بذات الحصانة والحماية التي تتمتع بها مبنى البعثة.

2. **الحصانة القضائية:**

تهدف الحصانة القضائية إلى منع إخضاع الدبلوماسي من حيث المبدأ لقضاء وقوانين الدولة المضيفة، ويرى البعض ضرورتها حتى لا تتخذ الدول القضاء وسيلة لمراقبة تصرفات مبعوثي الدول ذات السيادة. وينبني على الحصانة القضائية عدم إخضاع المبعوث الدبلوماسي للقضاء الجزائي للدولة المضيفة مهما كانت طبيعة الجرم المرتكب (مخالفة، جنحة، جناية). كل ما يمكن للدولة المضيفة أن تفعله هو أن تلفت نظر دولته أو تطلب سحبه أو طرده بحسب نوعية الجرم الذي أقدم عليه[21].

كذلك يعفى المبعوث الدبلوماسي من اختصاص القضاءين المدني والإداري للدولة المضيفة إلا في الحالات الآتية:

أ . الدعاوى العينية المتعلقة بالأموال العقارية الخاصة في إقليم الدولة المعتمد لديها ما لم تكن حيازته لها بالنيابة عن الدولة المعتمدة لاستخدامها لأغراض البعثة.

ب . الدعاوى المتعلقة بشؤون الإرث والتركات والتي يدخل فيها بوصفه منفذاً أو مديراً أو وريثاً أو معطى له ذلك بالأصالة عن نفسه لا بالنيابة عن الدولة المعتمدة.

ج . الدعاوى المتعلقة بأي نشاط مدني أو تجاري يمارسه في الدولة المعتمد لديها خارج وظائفه الرسمية، علماً بأن مثل هذا النشاط محظور عليه أصلاً.

كذلك يتمتع المبعوث الدبلوماسي بالإعفاء من أداء الشهادة أمام المحاكم مهما كان نوعها أو اختصاصها أو درجتها.

هذا ويجوز للدولة المعتمدة أن تتنازل صراحة عن الحصانة القضائية التي يتمتع بها المبعوثون الدبلوماسيون، لكن التنازل عن الحصانة القضائية بالنسبة لأي دعوى قانونية لا ينطوي على أي تنازل عن الحصانة بالنسبة إلى تنفيذ الحكم بل لابد لهذه الحالة الأخيرة من تنازل مستقل.

3. الحصانة المالية:

للمبعوث الدبلوماسي حصانات وامتيازات أخرى من أبرزها الحصانات والامتيازات الضريبية والجمركية وتلك المتعلقة بنظام التأمينات الاجتماعية المطبق في الدولة المستقبلة حيث أن للدبلوماسي إعفاء من الضرائب والرسوم نطاقه واسع فالأصل هو عدم التزام الدبلوماسي بدفع أي ضريبة مباشرة أو غير مباشرة أو أية رسوم للدولة المستقبلة ولكن هذا الأصل ليس مطلقا إذ ترد عليه وعلى سبيل الحصر بعض الاستثناءات المبينة في اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية في المادة 34 منها وهي كما يلي:

أ- الضرائب غير المباشرة التي تدخل أمثالها عادة في ثمن الأموال أو الخدمات.

ب- الرسوم والضرائب المفروضة على الأموال العقارية الخاصة في إقليم الدولة المضيفة.

ج- الضرائب التي تفرضها الدولة المضيفة على التركات.

د- الرسوم والضرائب المفروضة على الدخل الخاص الناشئ في الدولة المضيفة، والضرائب المفروضة على رؤوس الأموال المستثمرة في المشروعات التجارية القائمة في تلك الدولة.

هـ- المصاريف المفروضة مقابل خدمات معينة[22].

و- رسوم التسجيل والتوثيق والرهن العقاري ورسم الطابع والرسوم القضائية بالنسبة إلى الأموال العقارية الخاصة.

يتمتع أفراد أسرة الدبلوماسي المقيمين في كنفه بكافة ما يتمتع به حصانات وامتيازات دبلوماسية ما لم يكونوا من رعايا الدولة المستقبلة [23].

كما يستثنى الإداريون من التمتع بالحصانة القضائية أمام القضاء المدني إلا بصدد الأعمال الداخلة في إطار أدائهم لمهامهم في البعثة التي ينتمون إليها وفي عدم تمتع الإداريين بأية اعفاءات جمركية عدا ما يتعلق منها بما يحضرونه معهم عند قدومهم إلى الدولة المستقبلة لأول مرة بغرض بدء العمل في البعثة الدبلوماسية الدائمة أو العارضة للدولة الموفدة.

لا يتمتع أعضاء البعثة الدبلوماسية من الخدم إلا بثلاث امتيازات فحسب نص عليها وعلى سبيل الحصر في المادة 3/38 من اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية وفي المادة 37 من اتفاقية البعثات الخاصة وهذه الامتيازات هي: الحصانة القضائية في حدود الأعمال الداخلة في إطار ممارستهم لوظائفهم. والإعفاء من دفع أية ضرائب أو رسوم عن المرتبات التي يتقاضونها من البعثة والإعفاء من الخضوع لتشريعات التأمينات الاجتماعية السارية في الدولة المستقبلة ويشترط لتمتع أعضاء البعثة من الخدم بهذه الامتيازات المحددة على سبيل الحصر ألا يكونوا من رعايا الدولة المستقبلة أو من المقيمين فيها إقامة دائمة أما أفراد أسرة من يعمل في البعثة من خدم فلا يتمتعون بأي امتياز أو حصانة.

وفي الأخير نذكر أن الدبلوماسي في دولته الموفدة مواطن مثله مثل سائر المواطنين غير متميز عليهم ومن الجائز محاكمته جنائيا ومقاضاته مدنيا واتخاذ كافة الإجراءات القانونية ضده وضد مسكنه وكافة ممتلكاته كما أنه ملزم بدفع كافة ما قد يستحق عليه من ضرائب ورسوم.

وأخيرا وباعتبار السفير هو الممثل الدبلوماسي الأعلى في بعثة دولته في الخارج، وبالتالي فهو يتمتع بامتيازات وحقوق خاصة تساعده في أداء مهامه الدبلوماسية بفعالية، ومن بين الامتيازات الشائعة التي يتمتع بها السفير عادة:

- ☒ الحصانة الدبلوماسية: السفير محمي بالحصانة الدبلوماسية، وهي حماية قانونية تحظى بها البعثات الدبلوماسية وأفرادها. تشمل الحصانة الدبلوماسية حصانة الشخص والممتلكات والوثائق الدبلوماسية، وتحظر على السلطات المحلية التدخل في شؤون البعثة أو اعتقال السفير.
- ☒ الحصول على المعاملة الخاصة: يتمتع السفير بمعاملة خاصة من الدولة المضيفة والمؤسسات الدولية. يتم توفير سكن ومكتب دبلوماسي للسفير، وقد يتم تقديم مساعد ملحق دبلوماسي لتنظيم شؤونه اليومية.
- ☒ الصلاحية في تمثيل الدولة: يمتلك السفير صلاحية كاملة في تمثيل دولته وتوجيه السياسة الخارجية. يتعين على السفير تقديم التعليمات والتوجيهات للبعثة الدبلوماسية وتنفيذ السياسات الحكومية.
- ☒ التفاوض والتوقيع على الاتفاقيات: يتمتع السفير بصلاحية التفاوض والتوقيع على الاتفاقيات والمعاهدات بالنيابة عن دولته. يمكن للسفير تمثيل دولته في المفاوضات الدولية والمنظمات الدولية والقمم الدولية.
- ☒ الوصول إلى المسؤولين الرفيعين: يتمتع السفير بالوصول إلى المسؤولين الحكوميين والدبلوماسيين الرفيعين في البلد المضيف. يمكن للسفير تبليغ مواقف بلاده وتبادل المعلومات والمشورة مع المسؤولين الرفيعين.
- ☒ حضور الفعاليات الدولية: يُدعى السفير عادة لحضور الفعاليات الدولية والاجتماعات الدبلوماسية المهمة. يمكنه المشاركة في المؤتمرات والقمم والمناسبات الدبلوماسية الرسمية[24].

تهم جميع الامتيازات والحقوق المذكورة أعلاه يتم تحديدها وفقًا للقوانين والممارسات الدبلوماسية في كل بلد وفي العلاقة بين الدول المعنية. قد تختلف بعض التفاصيل والامتيازات من بلد إلى آخر وفقًا للاتفاقيات والمعاهدات الدولية والقوانين المحلية. لذا، فإنه من المهم أن نلاحظ أن هذه القائمة ليست شاملة وقد تكون هناك امتيازات أخرى تتعلق بدور السفير في البعثة الدبلوماسية.

4- الوثائق الدبلوماسية التي يتمتع بها السفير

السفير يتمتع بعدة وثائق دبلوماسية تساعده في أداء مهامه الدبلوماسية. هنا بعض الوثائق الدبلوماسية الشائعة التي يتمتع بها السفير:

- ✓ **جواز السفر الدبلوماسي**: يحمل السفير جواز سفر خاص به يعتبر دبلوماسيًا. يمنح هذا الجواز السفير الحصانة والحماية اللازمة أثناء سفره إلى الخارج.
- ✓ **بطاقة الهوية الدبلوماسية**: تعتبر بطاقة الهوية الدبلوماسية وثيقة تعريف تثبت هوية السفير كدبلوماسي. تحمل البطاقة معلومات شخصية هامة مثل الاسم والمنصب الدبلوماسي.
- ✓ الوثائق الدبلوماسية الرسمية: تشمل الوثائق الدبلوماسية الرسمية مثل الرسائل الدبلوماسية والتعليمات والتقارير. تستخدم هذه الوثائق للتواصل بين السفارة ووزارة الخارجية في البلد المضيف، وتحظى بحماية قانونية وحصانة دبلوماسية.

- ✓ **الوثائق القانونية الخاصة**: يمكن للسفير أيضًا أن **يتمتع** بوثائق قانونية خاصة تسمح له بتمثيل دولته والتوقيع على الاتفاقيات والمعاهدات. تختلف هذه الوثائق حسب البلد والمنصب الدبلوماسي للسفير.
- ✓ **الوثائق الأخرى**: قد يحمل السفير وثائق أخرى تتعلق بالمهام الدبلوماسية المحددة التي يقوم بها. قد تشمل ذلك وثائق السفر الخاصة بالبعثة الدبلوماسية ومستندات أخرى ذات صلة **بالتفاوض** والتواصل الدبلوماسي.

يجب الإشارة إلى أن الوثائق الدبلوماسية التي يحملها السفير تختلف من بلد إلى آخر وتتم وفقًا للاتفاقيات والمعاهدات الدولية والقوانين الوطنية[25].

خاتمة:

يعتبر السفير أهم موظف في السلك الدبلوماسي، ولقد وجدت هذه الوظيفة قديما وتعاظمت في وقتنا الحالي لما لهذا المنصب من أهمية خصوصا مع توالي الأزمات بين الدول وكثرت الخلافات، حيث يتدخل السفير بناء على وظيفته التمثيلية والتفاوضية من أجل الحفاظ على سير العلاقات الدولية والدفاع عن مصالح رعايا دولته.

ونظرا لهذه المهام النبيلة والجسيمة، فإن السفير يحظى في اتفاقية فيينا بمكانة خاصة حيث حددت مجموعة من الضمانات والامتيازات التي يجب أن يحظى بها السفير، ومن ذلك ما يتعلق بالحصانة الدبلوماسية والامتيازات المرتبطة بالإعفاءات في الرسوم وغيرها، وكذا تحظى وثائق السفير بميزة خاصة ومن أهم هذه الوثائق نجد جواز السفر والحقيبة الدبلوماسية...

الهوامش:

[1] – ممدوح منصور وأحمد وهان، التاريخ الدبلوماسي، اليكس لتكنولوجيا المعلومات، 2003-2004 ص 45

[2] – ممدوح منصور وأحمد وهان، م س ص 45 و46

[3] – وتاريخياً وصف المسؤولين الذين يمثلون بلدانهم في الخارج بأنهم وزراء، ولكن هذا المصطلح طبق على الدبلوماسيين من الدرجة الثانية. في مؤتمر فيينا عام 1815 تم إضفاء الطابع الرسمي لنظام رتبة الدبلوماسية بمقتضى القانون الدولي:

[4] – قاسم خضير عباس، المبادئ الاولية في القانون الدبلوماسي، دار الرافدين –بيروت لبنان، الطبعة الاولى، 2009 ص 77

[5] – ديلمي امال، التنظيم القانوني الدولي للعلاقات الدبلوماسية، مذكرة لنيل الماجستير في القانون. فرع القانون العام، جامعة مولود معمري –تيزي وزو، 2012 ص 82

[6] – منتصر سعيد حمودة، قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، دار الفكر الجامعي، 2008ص 35

[7] منتصر سعيد حمودة، م س ص 36

[8] – ديلمي امال، م. س ص 83

[9] – منتصر سعيد حمودة، م. س 36

[10] – منتصر سعيد حمودة، م س 37

[11] – ديلمي امال، م س ص 84

[12] – المادة 1 من

[13] – منتصر سعيد حمودة، م س ص ص 39و40

[14] – منتصر سعيد حمودة، م س ص 43

[15] – منتصر سعيد حمودة، م س ص44

[16] –منتصر سعيد حمودة، م س ص45

[17] – منتصر سعيد حمودة، م س ص ص 46 و47

[18]– منتصر سعيد حمودة، م س ص 48

[19] – علي حسين الشامي، الدبلوماسية نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، دار الثقافة والنشر،2007 ص26

[20] – حسب المادتين 44 و45 من اتفاقية فيينا لعام 1961.

[21] – علي حسين الشامي، م س ص 26

[22] – علي حسين الشامي، م س ص 27

[23] –انظر المواد 29-36

[24] – عبد العزيز بن ناصر بن عبد الرحمان، الحصانات والامتيازات الدبلوماسية والقنصلية، العبيكان ،2007 ص 29

[25] – عبد العزيز بن ناصر بن عبد الرحمان، م س ص 30